
الأمة الإسلامية
وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
٧ شارع السراى بالمنيل ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان - مدينة الهدى ت : ٦٨٨٠٧١

أبو الحسن الندوي



الأمة الإسلامية

وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل



القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة الإسلامية ، وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل

وحدة التربية والتعليم وانسجامها مع طبيعة الأمة الإسلامية ورسالتها وغايتها ، هو العامل الأكبر الأقوى لبقاء وحدة الأمة ووسطيتها ، واستمرارهما وبروزهما .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد (أيها السادة ! إن الله سبحانه وتعالى وصف الأمة الإسلامية عند ظهورها وبعثتها ، واتخذ الوسطية سمة لها وشعارا بين الأمم ، واستخدم كلمة البعثة ، عن قصد وبينة ، فإن الله تعالى قال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

وتؤمنون بالله ﴾[١] ، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا لأصحابه – رضى الله عنهم – « إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين »[٢] . وقال ربعىٌّ بن عامر رسول المسلمين عند (رستم) قائد قواد المملكة الساسانية الإيرانية : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[٣] .

وكانت اللغة العربية عند نزول القرآن – ولا تزال – غنية بكلمات النعت والوصف ، والمدح والإطراء ، منها ما تضفى على هذه الأمة معنى العبقرية والعملاقية ، وتجعلها فوق مستوى الشعوب والأمم – إذا لم تجعلها فوق مستوى الإنسانية – وتكسوها لباسا فضفاضا هو أوسع من قامتها ، وأكبر من قيمتها ، وقد حكى القرآن نفسه عن اليهود والنصارى فى وصفهم لأنفسهم قولهم ،

---

(١) سورة ال عمران : ١١٠ .

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة .

(٣) البداية والنهاية : ج/٧ ، ص ٣٩ – ٤١ .

فقال : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾[٤] .

ولكنه اقتصر على كلمة الوسطية فقال : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[٥] ، وكلمة (الوسط) فى الكلمات – فى حجمها الصغير ووزنها الكبير – كهذه الأمة بين الأمم الإنسانية فى قيمتها الكبيرة ، وفائدتها الكثيرة وقامتها الصغيرة المعتدلة (نسبياً إذا قورنت بالمجموعة البشرية قديما وحديثا والشعوب السائدة المالكة لأسباب القوة والرخاء والترف فى الماضى والحاضر) .

والكلمات اللغوية والمفردات تتعرض للمحنة ، كما تتعرض الرسالات والمؤسسات ، والمعانى الشريفة الفاضلة ، وخلال الجمال والكمال والفضيلة فى أزمان مختلفة ، وبيئات متنوعة ، وذلك لكثرة استعمالها فى محلها وفى غير محلها ، وانطلاق الألسنة والأقلام بها

---

(٤) سورة المائدة : ١٨ .

(٥) سورة البقرة : ١٤٣ .

بسهولة ، فيفهمها الإنسان العارف باللغة العربية في نطاق فهمه لهذه اللغة ، وفي مجال تجاربه واختباره لمن وصف بـ (الوسطية) في الرجال ، أو اتصف بالاعتدال والاتزان من الأعمال ، أو يرجع إلى معجم عربي معول عليه فعرف معناها في مجال الشرح الذي لا تتخطاه المعاجم مهما توسعت واستفاضت ، فكان ذلك كله حجابا لفهم المعاني التي احتوت عليها هذه الكلمة العربية القرآنية ، وعجز عن إدراك أعماقها وأبعادها ، ووزنها الحقيقي في القياسات التي تقاس بها الأمم والمجموعات البشرية ، حتى أمم الأنبياء في زمن بعثتهم وبعدها .

ولا يشعر الإنسان المتذوق للغة ، المنصف بالطبيعة ، بسعة هذه الكلمة وشمولها ، وعمق أغوارها ، واتساع أبعادها وآفاقها ، بعض الشعور ، حسب توفيق الله تعالى أولا ، ثم بذكائه وبعد نظره وسعة صدره ، وقدرة إنصافه و اعترافه ثانيا ، إلا إذا كان واسع الاطلاع على تاريخ العصور التي سبقت البعثة المحمدية وظهور الإسلام ، ونزول القرآن ، والمجتمعات الجاهلية بشتى أنواعها وأقاليمها ومناطقها وعصورها ، واستعرضها

استعراضا شاملا دقيقا فى ضوء كتب التاريخ الأمينة، وشهادات معاصريها الجريئة، وآثارها الباقية من أدب وشعر وفلسفة وحكايات وأساطير، ومعابد وآثار حفريات، وبقايا هذه الشعوب فى بلاد مختلفة وما تدين به وتعمل، وعرف – بعض المعرفة من خلال التاريخ – ما كانت تقاسيه هذه المجتمعات الجاهلية من تناقض بين العلم والعمل، والذكاء والتبجح وشق الشعرة فى الفلسفة وعلم الفلك والعلوم الرياضية، وبين الأخلاق والعشرة والتطبيق[٦]، وبين التجرد الروحى والارتكاس المادى، وبين المادية الجامحة والرهبانية الغالية المتطرفة، وبين اتخاذ الأسباب أربابا، وبين التواكل وترك الأسباب بتاتا، وبين تقديس الدم والسلالات وتركيزه سياسياً وإداريا فى بيوتات حاكمة، وروحيا ودينيا فى بيوتات كاهنة، وما كانت تعانيه من اصطراع بين الفرد والجماعة والمحكومين والحاكمين، وبين البذخ والأناقة

---

(٦) ليرجع إلى مقال المؤلف « دار الاسلام الجذرى البناء فى مجال العلوم الانسانية » الذى عرض لملتقى الفكر اسلامى الحادى والعشرين فى سطيف الجزائر، طبع مكتبة الصحوة – القاهرة .

والترف الذى بلغ إلى حد الخيال والشعر ، وبين ما كانت تعانيه الشعوب من فقر مدقع وعجز تقشعر منه منه الجلود وتذرف له العيون ، وما كانت تمتاز به من خلط بين الوسائل والغايات ، والمحكمات و المتشابهات ، والثوابت التى لا تتغير ، والتطورات التى تخضع لاختلاف الزمان والمكان ، زد إلى ذلك عدم بقاء الأديان على نقائها وأصالتها وفقد من يجدد هذه الديانات ويردها إلى أصلها وروحها ورسالتها[٧] .

وكذلك الشأن مع العصر الحاضر الذى يقوده الغرب – معناه الواسع – حضاريّا وسياسيّا وفكريّا – فإنه يتأرجح – وأحيانا كثيرة يصطرع بين شيوعية غير فطرية ، ورأسمالية غير خلقية ، وبين حضارة راقية واكتشافات مذهلة ، وتسخير لكثير من طاقات الكون ، وبين أخلاق وحشية وعقول صبيانية ، ونكتفى فى ذلك بشهادة واحدة لأحد الكتاب الغربيين فى العصر

(٧) ليرجع إلى مقال « ندرة شخصيات التجديد فى الديانات الأخرى » فى كتاب « رجل الفكر والدعوة فى الاسلام » جـ/١ ، ص١٥ ، ٢١ ، طبع دار القلم الكويتية .

القريب ، يقول الأستاذ جود الانجليزى .Prof) Joad (رئيس قسم الفلسفة فى جامعة لندن :

(إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ، ولكننا نستعملها لعقل الأطفال والوحوش)[٨] ويحكى عن فيلسوف معاصر ، قوله مخاطبا للغربيين :

(إنكم تقدرون أن تطيروا فى الهواء كالطيور وتسبحوا فى الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض كإنسان[٩] .

لذلك كله وفى ضوء ذلك كله جاءت كلمة (الوسطية) فى وصف الأمة الإسلامية نداء صارخا مهيبا للعقول والمشاعر والأذواق ، موقظا لها من السُّبات ، مثير اللاستغراب ، والدراسة والتفكير فى آن واحد ، متحديا للعصبية الدينية أو السلالية الإقليمية التى دانت بها ديانات كثيرة ، ولا تزال .

(٨) Guide to modern wickedness , P. 261 .

(٩) أيضاً : P. 293 .

وفى نفس الوقت تثير هذه الكلمة وما تتبعها كلمة (لتكونوا شهداء على الناس) الاعتزاز فى حملة رسالة الإسلام وأتباع هذا الدين ، والشعور بالكرامة والمسئولية والتبعة فى آن واحد ، فإنها تستلزم معنى الوصاية على الأمم ، والإشراف على العالم ، والنهوض بالحسبة الخلقية ، والرقابة المعنوية ، وقيادة الركب الإنسانى فى كل فترة من فترات التاريخ ، وبقعة من بقاع العالم ، وبالإخلال بذلك أو التنازل عنه يحرمون نفوسهم من كونهم أمة وسطاً ، وجدارتهم لأن يكونوا شهداء على الناس ، وذلك شبه انتحار معنوى جماعى وكفران بنعمة الله .

وذلك لا يتحقق – فى شروط كثيرة لا يتسع هذا المقال لشرحها – إلا بأن يكون العمل التربوى والتعليمى فى هذه الأمة – على اختلاف بلادها وتنوّع أوضاعها – منسجما متجاوبا مع رسالة هذه الأمة وطبيعتها والغاية التى بعثت لأجلها ، والسر فى صيانة الله لها على كثرة أعدائها ، سمة (الوسطية) والوحدة فى هذه الأمة وجدارتها لأن يكون أبناؤها شهداء على الناس ، كافلا

بذلك ضامنا له لا يتخلى عن وظيفته ، ولا يتكاسل - فضلا من أن يخون أو يعارض - فى أداء مهمته ، لذلك سيكون حديثى مركزا على البحث عن الوضع التربوى والتعليمى فى البلاد الإسلامية ومدى وفائه لرسالته وتجاوبه للغاية التى بعثت لها هذه الأمة ووصفت بالوسطية وأكرمت بالشهادة على الناس فى كل زمان ومكان ، فإن نظام التربية والتعليم هو العامل الأقوى فى بناء الأمة ونقل خصائصها ورسالتها وعقيدتها وخُلُقها إلى الأجيال الصاعدة ، وهو المِعوَل الهدام - إذا أسيء استخدامه أو استورد من مصدر لا يؤمن بقيمه ومُثُله ، لكيان هذه الأمة وجوهرها ، والحاجز الأكبر بين ماضيها وحاضرها ، والصائغ المُدمّر لمستقبلها .

جاء عهد الاحتلال الأجنبى وغزو الغرب الفكرى والثقافى ، ووقع الشرق الإسلامى - بإرادة أو بغير إرادة - فى حضانة التربية الغربية ، ونظمها التعليمية ، ومناهجها الفكرية ، وقيمها ومُثُلها العليا ، وتصورها للحياة والإنسان ، ونظرتها إلى العلوم والآداب ، كما يترامى الطفل الصغير فى أحضان مرب كبير ، وقبل

نظامه التعليمى ، وبالأصح فكرته التعليمية ، بحذافيرها و على علاتها ، التى ولدت ونشأت واختمرت فى بيئة تؤمن بعقائد وأسس ، ومبادىء وقيم ، ومفاهيم ومثل تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس والمبادىء والقيم التى يؤمن بها المجتمع الإسلامى أو يجب أن يؤمن بها ويعيش لها ، ويجاهد فى سبيلها ، بل تقوم على نفيها و هدمها أحيانا ، والتهكم بها والاستهانة بقيمتها أحيانا أخرى ، فكان مثله كمثل رجل يتناول السم الزعاف ليعيش ، ويشرب الماء الملح الأجاج ليروى غلته ، وحكموا فى تخطيط برامجهم التعليمية ، ومؤسساتهم العلمية الإخصائيين أو المستشارين من البلاد الأجنبية ، ولم يستوردوا منها المقررات الدراسية فحسب ، بل النظرات التعليمية والتصورات التربوية ، وأرسلوا البعثات إلى الخارج تنشأ فى أحضان المربين الغربيين والأساتذة الأجانب ، ثم أطلقوا أيديهم ومنحوهم كل حرية فى تخطيط البرامج التعليمية وسياسة التعليم فى هذه الأقطار الإسلامية .

فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة فى العقائد والأفكار ، والسيرة والأخلاق ، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية ، وإلا فهى فى أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها وبلادها .

وذلك شيء طبعى لا يُستغرَب وجوده ، إنما يستغرب عكسه ، وقد يكون هؤلاء الإخصائييون أو المستشارون وتلاميذهم مخلصين فى عملهم يريدون الخير للأقطار الإسلامية والأجيال المسلمة فى هذا التخطيط التربوى ، وفى هذه السياسة التعليمية ، ولكن ذلك لا يمنع من تعرض هذه الأقطار والأجيال لهذا الاضطراب الفكرى ، أو التناقض المبدئى ، ولكثير منهم العذر فى ذلك لقلة معرفتهم بهذا الدين وأسُسُه ومبادئه ، وطبيعة هذه الشعوب الإسلامية وما يتفق مع شخصيتها ورسالتها ، وما يتنافى معهما ، وقد تكون محاولتهم لإنقاذها - بإخلاص وحسن نية - ذريعة إلى هلاكها .

وقد أعجبنى ما قاله الأستاذ Don Adams عن هؤلاء المُوجِّهين أو المستشارين الأجانب فى كتابه(١٠) (المخطّط التربوى للمجتمعات المعاصرة) يقول :

« إن أبلغ مثل يضرب للأضرار التى تلحق بالشعوب بخطأ يصدر من المستشارين التعليميين الأجانب ، ما جاء فى حكاية شرقية ، تُصور موقف هؤلاء الماهرين تصويرا دقيقا ، زعموا أن ناحية من النواحى أصيبت بفيضان عظيم ، تورط فيه قرد وسمكة ، وكان القرد شاطرا ومحنّكا قد جرّب مثل هذه الفيضانات ، فتسلق فرع شجرة وأمن خطر هذا الفيضان ، ووقع بصره على السمكة تكافح تيّار الفيضان ، وتطفو على سطح البحر ، واحتمل القردَ العطفُ على هذه السمكة المسكينة ورقّ لها قلبه ، فنزل من الشجرة وأنقذ السمكة بكل إخلاص من هذا الخطر ، وجاء بها إلى الساحل

(١٠) N. Thut and don adams : "educational patterns in Contemporary societies" Megraw hill book co. New York (1964) P. 352.

وألقاها على الرمل حيث لا تصل إليها الأمواج وكانت النتيجة ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير » .

وقد اتفق أعظم علماء التربية فى العهد الحاضر على (أن عملية التربية فى أمة وبلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج ، أو تستورد إلى الداخل ، كالمصنوعات أو المواد الخام ، أو الحاجيات أو المخترعات التى لا تختص ببلد دون بلد ، إنما هو لباس يُفصَل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية ، وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المُفضّلة ، وأهدافها التى تعيش لها ، وتموت فى سبيلها[11] ، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التى يؤمن بها شعب أو بلد ، وتغذيتها بالاقناع الفكرى القائم على الثقة والاعتزاز وتسليحها بالدلائل العلمية ، إذا احتيج إليها ، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ، ونقلها سليمةً إلى الأجيال القادمة ، وأن أفضل تفسير لنظام التربية هى أنها (السعى الحثيثُ المتواصل يقوم به الآباء والمربّون لإنشاء أبنائهم

(١١) مقتبس من محاضرة كاتب السطور مهمة التربية والتعليم المدرجة فى كتابه « نحو التربية الاسلامية الحرة » .

على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها ، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون ، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا وَرَثة صالحين للتراث الذى ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم ، مع الصلاحية الكافية للتقدمّ والتوسع فى هذه الثروة[١٢] .

وقد جاء فى تقرير تربوى قدَّمة بعض كبار خبراء التربية فى بريطانيا ما خلاصته :

« إن مصلحة الحكومة فى أن تطمئن إلى أن المدارس القائمة فى حدودها كفيلةٌ بنقل أجزاء الحياة القومية إلى الأجيال القادمة ، جيلا بعد جيل ، إن الفكرة التى يجب أن تسيطر على سياسة الحكومة التربوية المرسومة وتُسندها ، هى أن ينشأ الأطفال ورثةً للخصائص القومية ، وخلفاء أبائهم بالجدارة »[١٣] .

---

(١٢) يرجع إلى دائرة المعارف البريطانية مقالة « التربية » وكتابات أحد أئمة فن التربية فى العهد الحاضر جان ديوى (John Dewey) .

(١٣) Secondary education with special regerence to grammar and technical schools. H. M. S. O. 1931 PP 147-148 .

ويقول F. W. Gardford في كتابه (التربية والغاية والاجتماعية) :

« إن أفضل محكّ لنجاح التربية وإخفاقها ، هو تقاليد المجتمع والقيم السائدة ، فهى الأسُسُ التى تقوم عليها خصائصها وبقاؤها ، ومما لا بدّ منه أن لا تكون بينها وبين التربية فجوة فكرية أو عدم انسجام ، فعلينا أن نلاحظ دائما أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التى يؤمن بها هذا الشعب فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب التى يقوم بها رجال التربية »(١٤) .

ونكتفى بشهادة أخرى أكثر تركيزا ، وأشد صراحة لأحد علماء التربية ، Vernon Mallinson يقول :

« إن التعليم القومى عبارة عن ميثاق فكرى تتجلى فيه غاية المجتمع المشتركة ومساعيه المشتركة ، ويمثل هذا

---

(١٤) F. W. Gardeord في كتابه "Education and social purpose" . London (1962) PP 46-47

الميثاق العاطفة القومية ، ويكون مزيجا من خصائص لا بد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع وأهدافه »(١٥) .

وبذلك سلم الغرب من هذا التناقض الذى يعيشه الشرق ، سواءً الأقطار الإسلامية منه وغير الإسلامية ، فلا وجود فى الغرب لهوّة عميقة سحيقة فكرية وعقائدية بين الشعب والقيادات ، أو الجماهير والحكومات ، إنما هناك طراز واحد ونمط واحد للمبادىء والقِيَم والمُثُل والغايات ، وليس هناك صراع فكرى ونفسىّ عنيف قاس بين مختلف الطبقات وأفراد المجتمع ، ولذلك أمن الثورات الداخلية ، (والمؤامرات) ضد سلامة الشعب ، ومصالح البلاد .

أما الأقطار الإسلامية – وأرجو عدم المؤاخذة – فهى مسرح للتناقض العجيب بين الطبقات الحاكمة أو الزعيمة ، وبين الجماهير ، فى جانب ، وبين الطبقات المثقفة ثقافة عالية ، والطبقات التى تغلب عليها الأمّية ،

---

(١٥) An introduction to the study of comparative education . London (1957) P. 4

وبين الطبقات المتدينة المحافظة ، وبين الطبقات المتحررة التقدُّمية فى جانب آخر ، وذلك كله نتيجة نظام التربية الغربى المُستورَد من الخارج ، أو المصوغ فى الداخل على فكرة النظام الغربى وخطوطه ، فهو ينشىء جيلا لا يسيغ العقائد والحقائق التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى أو الأمة الإسلامية ، لأن ما يعطيه هذا النظام ويغرس فى النفوس والعقول ، يتناقض تناقضا واضحا مع العقائد والحقائق التى يؤمن أو يجب أن يؤمن بها هذا المجتمع أو الأمة ، وإذا أساغها فإنما يسيغها بمعجزة أو بتأثير خارجى يُضعِف سلطان هذا النظام ، وذلك شاذٌ لا يقاس عليه .

وإذا وجدت هذه الطبقة أو الجيل الذى نشأ فى أحضان هذا النظام ، ورُضِّع بلبانه ، بقى فى صراع دائم مع عقيدة الشعب وعقليته وعواطفه واتجاهاته ، فإذا كان قوىّ النفس قوىّ الإرادة ، حاول أن يزيل أنقاض العهد القديم أو الرجعية (كما يقول بعض أفراد هذه الطبقة) ويُخلص الأمة والبلاد من رُكام الماضى ، وهنالك تقوم معركة تستهلك طاقات وكفايات كانت الأمة أحوج

إليها ، وتقوم حرب داخلية قد تكون أطول وأعنف من الحروب الخارجية ، وهذه قصة بلاد ابتليت بزعامات دانت بمبادىء وفلسفات ثورية أو قومية أو علمانية .

وإذا كان هؤلاء الأفراد ضعيفى النفس والشخصية والإرادة ، أصيبوا بمركّب النقص ، وبكُره شديد للعقائد والأهداف التى يؤمن بها الشعب ، فيحيكون المؤامرات ويمالئون الأجانب ، وينتهزون كل فرصة للتخلّص من ضغط الشعب الدينى ، ونفوذ الدعاة الذين يناودن بالإسلام ، فتكثر حوادث الخيانة القومية وتعيش البلاد فى جوّ من الاضطراب والإرهاب ، وعدم الثقة والشك والبلبَلةَ الفكرية .

ولا سبيل إلى التخلُّص من هذا الوضع غير الطبيعى وغير الضرورى ، إلا قلب هذه الأوضاع التعليمية رأسا على عقب ، وصياغتها صياغة جذرية جديدة ، وهى قضية العالم الإسلامى الكبرى ، وضرورته القصوى ، ونداء الوقت وفريضة الساعة .

وهنا أختم حديثى باستعارة قطعة من إحدى كتاباتى السابقة ، ومعذرة للقراء الكرام الذين مّرت بهم هذه القطعة قديما :

« وحلُّ هذه المشكلة – مهما تعقّد وطال واحتاج إلى الصبر والمثابرة – ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمى صوغا جديدا ، ويلاءم بعقائد الأمة المُسلِمة ومقوّمات حياتها ، وأهدافها وحاجاتها ، ويُخرَج من جميع موادّه روح المادّية والتمرد على الله والثورة على القِيَم الخلقية والروحية ، وعبادة الجسم والمادة ، وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله ، وتقدير الآخرة والعطف على الإنسانية كلها ، فمن اللغة والآداب ، إلى الفلسفة وعلم النفس ، ومن العلوم العمرانية إلى علوم الإقتصاد والسياسة ، لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة ، ويُقصَى استيلاء الغرب العقلى ، ويُكفَر بإمامته وسيادته ، وتُجعَل علومه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة ، ويوضح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الإنسانية والمدنية ، وتدرس علومه بشجاعة وحرّية ، وتعتبر كمواد خام (Raw Material)

نصنع منه ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا ، وعقيدتنا وثقافتنا » .

إن هذا العمل ولو كانت فى طريقه عقبات وعراقيل ، ولو تأخرت نتائجه ولكنه حلّ وحيد للموجة الطاغية التى قد اكتسحت العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، موجة التجدّد والتغربّ التى تتحدى الكيان الفكرى للإسلام وجهازه الاجتماعى ، وظلت تهدد حياته وبقاءه وصدقه ، وتنافى وتتحدى فى غير حياء وتحفظ اتّصاف هذه الأمة بالوسطية وكون المسلمين شهداء على الناس ، وكون الرسول الأعظم ﷺ شهيداً عليهم ، نتيجة لذلك أصبحت عاطفةُ الشعوب المسلمة وتضحياتُها وجهودُها وإخلاصُها ووفاؤها (التى هى السبب المباشر الأساسى فى إنشاء الحكومات الإسلامية وتحرير البلاد المستعمرة) وسيلةً مستغلّةً وقنطرة مُوقّته يُستغنَى عنها بعد الوصول ويُخشَى من بقائها على أصلها وقوتّها .

وأختم البحث بقطعة لشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال يخاطب فيها (المسلم) وهى تلقى الضوء

على مركز الأمة الإسلامية فى هذا الكون ، و دورها فى قيادة العالم ، وإسعاد الإنسانية ، وإنقاذ الأمم ، يقول الشاعر الحكيم الفيلسوف الكبير :

« أنت للناموس الأزلى حارس وأمين ، ولإرادة سيّد هذا الكون يسار ويمين[١٦] .

لقد كانت نشأتك من التراب ، ولكن بك قوام العالم وبقاء الأمم ، واشرب كأساً فائضة من اليقين ، وانهض من حضيض الظنّ والتخمين ، انتبه من السبّات العميق الذى طال أمدُه واشتدت وطأته .

الغياث من الافرنج الذين خلبوا العقول وسحروا النفوس ، الغياث من هؤلاء الذين خدعوا مرة بالرقّة والدلال ، ومرة بالقيود والأغلال ، وتارة مثّلوا دور (شيرين) وطوراً لعبوا دور (أبرويز)[١٧] لقد أصبح العالم كله خرابا يبابا بإغارتهم وغزوهم .

---

(١٦) يعنى أنه اله بيد القدرة الإلهية وجارحة لها .

(١٧) يشير إلى قصة غرامية فارسية قديمة تناقلها الأدباء والشعراء فى ايران والهند ، تمثل فيها (شيرين) دور المرأة الفاتنة التى هام بها الأبطال ، و (ابرويز) دور الملك القاهر الذى عشقها واستأثر بها .

يا بانى الحرم ! ويا خليفة ابراهيم عليه السلام ! انهض لبناء العالم من جديد ، انتبه من السّبات العميق الذى طال أمده واشتدَّت وطأته[١٨] » .

وأشكر ملتقى الفكر الإسلامى الجزائرى ، ومن له فضل فى تنظيمه حكومة و شعبا ، على إتاحة الفرصة لى للحديث فى موضوع هام حساس فى أوانه ومكانه ، ولله الحمد أولا وآخرا .

---

(١٨) زبور عجم : ص ١١٦ – ١١٨ ، باختصار وتوسع .

من منشورات دار الصحوة
للشيخ أبو الحسن الندوى

- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين ......
- الإسلام : أثره فى الحضارة وفضله على الإنسانية ....
- الحضارة الغربية الوافدة وأثرها فى الجيل المثقف ....
- دور الإسلام الإصلاحى الجذرى فى مجال العلوم الإنسانية ....
- رسائل الإعلام بين الشيخ الندوى ودعاة الإسلام ١٣٦٧هـ - ١٤٠٤هـ ....

  جمع وتقديم/ محمد الرابع الحسنى الندوى
- شخصيات وكتب أثرت فى حياتى ....
- صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالى الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية ....

● المدخل إلى الدراسات القرآنية : مبادىء تدبر القرآن والانتفاع به : أضواء على وجوه الإعجاز والعلوم القرآنية ....

● نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان ....

رقم الإيداع : ٨٩/٣٠٣٦
الترقيم الدولى : ٥-٥٩-١٤٣١-٩٧٧